

متى يتم توثيق تراث الصابئة المندائين؟

إيران تتبنى إتفاقية اليونسكو والعراق لا يحرك ساكناً



قيس مغشغش السعدي

المانيا

بالإنقراض أو التآثر بالتغيير والإهمال. وسجلت ودعمت اليونسكو حتى الآن ما يقرب من 126 تراثاً عالمياً من خلال قيام كل بلد بتبني برنامج لذلك يقوم على توثيق وحفظ ذلك التراث الثقافي في ضوء أسس ومعايير محددة يسهم فيها اتباع ذلك الإرث. مرة أخرى أثار فينا هذا المشروع المعنى لأن يقوم العراق ويدعم من منظمة اليونسكو بتبني برنامج لتوثيق تراث الصابئة المندائين الثقافي كجزء من تراث العراق الذي لم يتم توثيقه بشكل نظامي. وما حفزنا أكثر أن جمهورية إيران الإسلامية قد أقرت ذلك من جانبها حيث يفيد الخبر الذي تناقلته وسائل الإعلام أن رئيس مؤسسة التراث الثقافي والصناعات اليدوية أوعز إلى محافظ خوزستان بتوثيق التراث الثقافي المكتوب للصابئة المندائين والذي يأتي تلبية وتماشياً مع المعاهدة الدولية الخاصة بحماية التراث غير الملموس للعام 2005.

فإن كانت إيران مع كل إشغالاتها وما يؤخذ عليها من عدم اهتمام بالأقليات الدينية قد تبنت ذلك تقديراً منها لما لدى الصابئة المندائين من تراث في إيران، فما بالك بالعراق بلد المندائين، وبلد الوجود الأكبر لهذه الديانة الذي يشار له حينما تذكر هذه الديانة

وإتباعها في المحافل الأكاديمية والإنسانية والتراثية ضمن منابع أديان الشرق؟ إنه إستحقاق عراقي أصيل نضعه أمام أعين الجهات المسؤولة في البرلمان العراقي ووزارة الثقافة ونأمل فيه حقاً هذا التوثيق خاصة وأن الكثير مما يمتلكه الصابئة المندائين في إرثهم الثقافي بات مهدد بالضياع والإنقراض وأبرز ذلك لغتهم العراقية الأصيلة، كما أن طقوسهم الدينية وشعائهم العريقة مما يستحق أن يحفظ ويعرض مثالا على قدم وعي الإنسان وإقدامه للتعبير عن قيمة الحياة بتقديرس الماء الحي طهارة وصبغة باسم الحي الأزلي.

ميراثيات الدول الأعضاء، والعراق كبلد عضو لم يوقع على الإتفاقية بخصوص هذا الموضوع.

لغة وأبجدية

إستغرقت كثيراً، فالعراق بلد أول اللغات والأبجديات، وله من المفردات التي مازالت في التراث الإنساني عامة، لكن إهتمامه اليوم يمثل هذه الأمور لا يعد يذكر. وقد طلب مني مفاتحة جهات رسمية في العراق، ولقد قمت بكتابة رسالة إلى وزارة الثقافة وأخرى إلى البرلمان العراقي، ولا أعرف إن كانت قد وصلت أم وصلنا وإهملنا. محاولتنا الفريدة أدت إلى أن تطور فونت كومبيوتري للحرف المندائي، ووضع كتاب تعليمي للمستوى الأساس، ووضع قاموسين أحدهما مندائي عربي وبالعكس، والأخر مندائي إنكليزي وبالعكس، ووضعنا معجم المفردات المندائية في العامية العراقية، وسعينا لإيجاد صفوف تعليمية، ونصور أفلاما للطقوس، وكل ذلك بجهود فريدة غير مبرجة تكنتها الصعوبات ومحدودة جدا من حيث الإمكانيات. اليوم، تصيف اليونسكو مشروعاً جيداً آخر يمتثل في "حماية الإرث الثقافي غير الملموس Intangible cultural heritage" للشعب في بلدانها، وهذا المشروع الرام يعمل على توثيق كل ما لم يتم الإلتباه له من قبل الدول والمنظمات الإنسانية والأكاديمية مما لدى الشعوب خاصة ما كان مهدداً منه

ويومها كانت في وزارة التربية، وبقينا نتأمل خيرا، لكن الموضوع أدخلته الجهات الأمنية للظلام السابق ضمن "مخاطبة جهات دولية دون إذن وتسلسل رسمي" مع أن النظام الداخلي للمجلس الروحاني الأعلى للصابئة المندائين يقرر لهم مثل تلك المخاطبات. والغريب أن تلك الجهات فاتحتنا لسكوت عن الأمر لقاء مساومات خاصة، فاجبرنا على مغادرة العراق. وفي عام 2005 أعدت الكرة بمخاطبة اليونسكو للمساعدة في تبني برنامج لتوثيق اللغة المندائية كونها لغة مهددة بالإنقراض، وخاطبت من أجل ذلك ممخلية اليونسكو في الشرق الأوسط وكان لها دور في مخاطبة الأمين العام لليونسكو، فكان من ذلك أن سجلت اللغة المندائية ضمن أطلس اليونسكو للغات المهددة بخطر الإنقراض للعام 2006.

بقينا نأمل ويقينا أيضاً نامل أي دعم يسند ذلك الإقرار. ولما لم يتم شيء بالخصوص قمت في عام 2007 بزيارة مكتب جمهورية العراق لليونسكو في باريس، ولم أتمكن من مقابلة مسؤول المكتب عرض الأمر عليه لعدم وادامهم يوم الزيارة. وحين عدت خاطبت المنظمة مرة أخرى مستفيداً من إعلان الأمم المتحدة إعتبار عام 2008 السنة الدولية للغات الأم. وجاءتني الإجابة بان: منظمة اليونسكو تقوم على دعم هذه البرامج من

لا نزاع في الأصل الرافديني لديانة الصابئة المندائين وهو ما جعلها تترجم وتحتفظ بالكثير من علامات هذا الأصل في معتقداتها التوحيدية القديمة، وفي طريقة كتابة أديها، وفي طقوسها القائمة على وفرة الماء في بجلة والفرات، حد أن الفرث عذهم فراش زيو " بساط النور" منبجهم من عالم الأنوار، وفي لغتها بابجديتها التي ما تزال تحفظ أصول الميثاق من المفردات الشائعة في اللسان العراقي وأشهرها "أكو، ماكو، ا، ببعود...، كما حافظوا على؟ فن الصياغة منذ مصوغات سومر وحتى اليوم. بنار دائما أنهم: إرث عراقي أصيل، فاين العراق من توثيق هذا الإرث بعد أن اجبرتهم ظروف وطنهم إلى مغادرته، ولم يتبق منهم إقامته الجديدة، ومن في العراق يتنازع الخوف والقلق الدائم بشأن مصير الوجود. في عام 1990 وعلى أثر عودة وفد المجلس الروحاني الأعلى من زيارته للفاتيكان ولقائه قداسة البابا الأسبق يوحنا بولص الثاني، قمت بمخاطبة منظمة اليونسكو وقدمت طلباً لقيام المنظمة بتبني مشروع توثيقي للحفاظ على الإرث الثقافي للصابئة المندائين، وبعد مدة إستلمنا ردها بإجابة الطلب إلى المفوضية الوطنية لليونسكو في العراق. قمت بمراجعة دائرة المفوضية

أصغر نقد.. بنوك متحركة

المسكوكات المعدنية عن قيمة شيكات واجبة الدفع وكانت إحدى أمينات الصندوق تجبر المواطن على استلامها ويحظر الزبون بحملها فيتركها لدى أمين صندوق آخر فتقوم تلك أمينة الصندوق بالشواشة على زميلها لدى مدير المصرف على أساس يجمع من المراجعين ما يهبون لهم من نقود وحدثت مشاكل كبيرة من النفاق والنميمة .

عملة صغيرة

في أحد الأيام أوقفنا الأمن الاقتصادي أنا ومجموعة من الصيادلة من قبل الأمن وأيداعنا في غرفة خالية إلا من منخدة صغيرة أتوقع يصعد عليها الموقوف لربطه في المروحة السفوية طبعاً التهمة كانت عدم إرجاع المتقي عشرة فلوس من ثمن علية تحسبول وأطلق سراحنا بنفس اللبلة بعد إجتماع المحافظ معنا مذكراً حاجة الناس إلى أي مبلغ بسبب الحصار والإلتزام التام بالنسعية ولو كانت أهمية النقود المعدنية قليلة لا يكثر بها أحد بسبب تدهور قيمة الدينار العراقي في ذلك الوقت.

فالعملة الصغيرة لها أهمية كبيرة رغم صغر قيمتها لكنها تحل كثير من الإشكالات من المشاكل في تسوية المال وتقود البيع المباشرة كذلك قد تتعقد بها طفلك الصغير وإسكانه ولو بعضهم لا يقنعون إلا بالألاف ...

وما رأيكم بها أيام العيد هل تزيد من قيمتها لدى الكبار أم الصغار ؟؟...

الأمور التي لا نشعر بها تجد بعض (المولات) تسعيرة البضاعة بالدولار وعند الدفع قيمة الفائورة عند الصندوق يحسب على أساس سعر الشراء ثم المتبقي يعطيك بدلأعنه علية علك أو تستلته مقابل الف أو خمسمائة دينار . الموضوع في حسابات التاليف والنشر لا يستحق كئنه مهم جداً من ناحية إستخفاف جيب المواطن بدون ما يشعر به . من ناحية معالجة لبعض السلبيات لا تتم إلا بالوعي والحرص الجميع على الإخلاق والتفاني وقيام بعض موظفين المصارف بجولات ميدانية في الأسواق لمساعدة أصحاب المحلات بالحصول على النقد الصغير كما لو يقوم الموظف مساعدة الزبائن باستلام المبالغ في مواقع عمل الزبون لتعزيز أصدرة حساباتهم الجارية لدى البنوك فيما كان ليس هناك فساد مالي . أتذكر في التسعينات أمام الحصار كان سعر الدولار تجاوز الحد المفعول ويحترأ مئة الصندوق في مصارفنا من دفع بعض

أي لا توجد فئة نقدية تفصل بين الإثنين وقد أضطر الكثير منهم دفع رشواى لتنفذ طلبهم .ثم عانى مرة أخرى الكثير من انخفاض قيمة فئة عشرة الألف دينار وكذلك تأثرت قيمة الرواتب والأجور بذلك قبل تعديل العملة الجديدة. أما في الوقت الحاضر ، انتهى مفعول المسكوكات المعدنية وتواجد فئات متعددة في السوق مما ساعد في الحفاظ على قيمة الدينار العراقي مقابل سعر صرف الدولار . رغم هناك بعض السلبيات تحدثت في بعض الأوقات مع المواطنين حينما يعتذز سائق سيارة الأجرة بعدم وجود نقد صغير لإرجاع المتقي مثل الألف دينار أو النصف وكذلك الحال بالنسبة إلى الربع فيبقى الزبون هو الخاسر . حاولت أن أبحث عن السبب وجدت الأسباب عديدة منها عدم إكتراث البنوك بأهميتها تداول الفئات الصغيرة في الشارع لأسباب مختلفة منها عزوف محاسبي السواها والمدارس والقوات المسلحة من إستلام الفئات الصغيرة للحين التي مضض بصفتي كذت السيطرة على عددا وفرزها ولتهالك بعضها لذا عملية ضخ العملات الصغيرة لا تناسب مع حجم المطلوب منها في الأسواق .

عدم جدية

كذلك عدم جدية بعض المسؤولين في ضخ الفئات الصغيرة المتقدمة إعتاش العملة ، قد تجد في الأسواق وتقاطع الطرقات المتسولين يحملون تلك الفئات الصغيرة ويعتبر أنهم بنوك صغيرة متحركة فمنهم من ينقد موقف الفئات الصغيرة وكثير من الأحيان يستعين أصحاب المحلات بهؤلاء لغرض تصريف الفئات الكبيرة إلى الصغيرة . نلاحظ تواجد الفئات الصغيرة في حوانيت المدارس أيام الدراسة طالما أغلب الطلاب يحملونها .

رغم هناك بعض السلبيات تحدثت في بعض الأوقات مع المواطنين حينما يعتذز سائق سيارة الأجرة بعدم وجود نقد صغير لإرجاع المتبقي مثل الألف دينار أو النصف الخاسر . حاولت أن أبحث عن السبب وجدت الأسباب عديدة منها عدم إكتراث البنوك بأهميتها تداول الفئات الصغيرة في الشارع لأسباب مختلفة منها عزوف محاسبي الدوائر والمدارس والقوات المسلحة من إستلام الفئات الصغيرة للحيز التي تستغله ولصعوبة السيطرة على عددا وفرزها ولتهالك بعضها لذا عملية ضخ العملات الصغيرة لا تناسب مع حجم المطلوب منها في الأسواق .

الإستجابة السلبية

دول الربيع العربي والعراق

تبارت متشابهة العناوين مختلفة التفاصيل .

وسال عصرية ومع ذلك فقد استخدم الجميع الوسائل العصرية من اعلام وتواصل اجتماعي وغيرها في مواجهة الخصوم . ودخل الاعلام ليمارس دعائياته الديماغوغية في سجلات عقيمة لتشخيص الأزمات بكل مفاصل الدولة وتسيبت تلك الصراعات كمال كل طرف اتهاماته للطرف الآخر وغاب الحوار فدخلوا في الصراعات المسلحة والدامية ان الاستجابة للتحدي لا تكن في تمجيد التاريخ الذي اتخذته ثورات الربيع العربي ولا في الخلافات حول الطابع الإسلامي او المدني الواجب الاخذبه حيث انها ات الى انكار الآخر وغياب الاسم الاخلاقية والقيمية التي كانت سائدة والتي كانت سببا في نشوء الحضارات الباهرة التي شهدت المنطقة وقد كان الاجدر بهم الاتفاق على المشتركات ، والتخلي بالروح العلمية والتفكير الموضوعي الحضاري في معالجة المشاكل . والرومنة بدل الخلاف ولا في شكل الهويات ومضمونها والخلاف حول التمسك بالثراث الاقتصادية والسياسية . على الجميع العمل على الانتصار في اطار الوطنية القائمة على القيم العليا المتوازنة الذي يضمن الحياة الكريمة لكل المواطنين بلا تفرقة او استثناء.

المقاييس . وبدلا من ان يواجه الشعب هذا التحدي الكبير الذي يضرب مصالحه الإستراتيجية المشروعة . ومستقبل الاجيال القادمة . نراه قد خاض بزناعات طائفية تستند على اسس تاريخية ومشوهة ومزورة ولم ينتبه الى التخريب المتعمد من قيادات الاحزاب الدينية التي امسكت بكل مفاصل الدولة وتسيبت في خرابها جميعا . حتى انخبه اخيرا الى اللعبة القذرة التي جرتة الى صراعات جانبية لاتخدم مصالحه الاساسية الواجب الحفاظ عليها . وهو بهذا المسلك قد استجاب ايضا استجابة سلبية ات الى تراجع المجتمع وتفككه مبتعدا كل البعد عن التجديد والتطوير وبناء حضارة تليق به بدلا من الاعتماد على اجترار الماضي ، وتقليد السلف من استعراضنا هذا يتبين ان التحديات التي واجهت الدول العربي تحديات جسيمة تم الاستجابة اليها استجابة سلبية بنكوصهم الى الخلف بدلا من التطلع الى المستقبل والنظر الى العالم المتقدم لاستيعاب القيم الحضارية منه وابداع المعالجات المدنية للمشاكل الاقتصادية والسياسية .

وادي هذا النهج الى تقديم محاولات هشة وضعيفة لاتتناسب مع عظم التحديات . كما انها ات الى تقسيم المجتمعات التي كانت متماسكة الى حد ما . والدخول في صراعات بين

اسس قومية اشتراكية بتتظيمات حزب البيعث الذي يدعي التقدمية . . لقد كانت استجابته سريعة بالاعتماد على حزب الله المؤمن بولاية الفقيه الإيراني الذي لايقبل رجعية وتخلفا عن سلفية ودموية داعش والنصرة وبقية فصائل المعارضة للنظام . كما استجد النظام السوري بايران ايضا فتشكل تحالف من الحرس البيعثي القديم الذين يدعون اتصاعم القومي العربي مع الميليشيات الشعبية التابعة لإيران ، من اجل الحفاظ على مناصبهم وامتيازاتهم ضارين بعرض الحافظ لل شعارات التقدمية الرنانة .

تطور العملية

وذلك فهم ايضا استجابوا للتحدي استجابة سلبية بدلا من العمل على التجديد وتطوير العملية السياسية . وبذلك تشاطروا مع المعارضة في الانتكاس والتخلف واذا اخذنا الموقف في العراق فان التحدي كان كبيرا من خلال الغزو الأمريكي وتنصيب مجلس حكم موالى لنيانكي من احزاب طائفية وكردية . . ثم استمررت العملية السياسية بنفس النهج الاناثي الطفلي التي تسببت في خراب ماتبقى من اسس الدولة العراقية . والتكالب على نهج الاسوال والممتلكات في كل القطاعات الصناعية والزراعية والخدمية وكذلك التربوية . ولم نجد اي مشروع لبناء دولة على وفق منهج محدد وواضح . فصبح العراق دولة فاشلة بكل

السورية . وربما كانوا يعلمون او لايعلمون ان حلول المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا تأتي من الماضي وانما تأتي من الانسان المتطورة نتيجة تقدم الانسان في سلم الحضارة . والحضارة لأحدور لها فهي ملك الانسانية جمعاء . وهكذا نجد ان الاستجابة كانت في الأخرى سلبية حيث النكوص الى الماضي واللحث من خلاله الى حلول للمشاكل الانية . فازدادوا تخلفا على تخلفهم وتدخلت الاموال الخليجية تساند هذا الطرف او ذاك ثم تدخلت ايران تحت ذريعة حماية المقدسات فزادت الطين بله ومن خلال هذا التدخل طرحت مشروع تصدير الثورة الاسلامية الى سوريا بوجه اسلامي مغاير هو الآخر . وتدخلت تركيا بحجة مكافحة الارهاب . والارهاب عند ايران وهكا فعلت روسيا وامريكا ايضا . وبالنتيجة لم تشهد اي مشروع تقدمي او حضاري يحقق طموحات الشعب الذي ثار من اجله . وامام هذه التحديات لم نجد سوى استجابات سلبية رجعية موغلة بالتخلف الدموية من داعش والنصرة وفصائل اسلامية اخرى والكل يتقاتلون من اجل مشاريع وهمية تستند على تاريخ ماضي لم يخلو من شقاق ودموية هو الآخر . هذا بالنسبة لماسمي بالمعارضة . ولكن ماهي استجابة النظام لهدد التحديات وهو يقوم على

ارتكاب حماقات العودة الى الماضي المتخلف وليس الماضي البهيج ماضي تونس الخضراء . وجاء القائد السياسي الذي حاول ان يقدم نسخة اصلاحية من نظام زين العابدين بن علي وقد كان التوانسة نوي فكر نير وتقبل الآخر المختلف دون صراع دموي كالذي حدث في ليبيا وفي ليبيا عمت الفوضى فيها بعد اسقاط نظام معمر القذافي ولم نجد اي استجابة ايجابية في اتجاه التطور والتقدم .

استجابات سلبية

ولكننا وجدنا استجابات سلبية من النكوص الى العقائد القديمة السلفية الاسلامية بوجهها المتطرف او القبلي فقسمت ليبيا فعليا بين حكومة الإخوان في طرابلس و سيطرة داعش على الهلال النفطي في الشرق وما بينهما حكومة الوفاق . ولم نجد اي حركة تقدمية او حضارية لأخذ زمام المبادرة والخروج بليبيا من النفق المظلم والحرب الأهلية التي باتت تهدد وحدتها وتعيدها الى التقسيم على ما كانت عليه في الستينيات من القرن الماضي اما في سوريا فقد خرج الشباب في مظاهرات عارمة امتدت لأغلب المدن السورية مطالبين بتحسين الوضع الاقتصادي والسياسي . فتم قمعها بشدة من قبل النظام . فانكست نتيجة الصورة الوردية التي قدمها الاسلاميون من مختلف الفصائل واعتقدوا انهم سيقون جنة الله على الارض

المنطقة . نجد ان الاستجابة العظمى كانت سلبية . حيث انتكس اغلب المشاركين فيها نحو الماضي وتشبثوا به لعظم الصدمة التي واجهوها ولم يسعفهم اي فكر او ايدولوجية بديلة لتعطيلهم الدافع الحيوي للتقدم فآخذوا يجتروا افكار وعقائد السلف الصالح وغير الصالح واعتبروا كل ما قبل بهذا الصدد هو الدين نفسه وسفهاو عقائد الآخرين حتى لو كانوا من نفس اللون والفكر العايم

وخاضوا في تفاصيل تفرق واتوجد ، تنقل ولا ترحم ، تشيع الكراهية بدل الحب والاحترام المتبادل . وبالقابل نجد الانظمة الرجعية الديكتاتورية وحرسها القديم يتمادون في الصلف وتجاهل تطلعات الشعوب نحو التحرر والتطور اسوة بدول العالم المتقدم . فحكم محمد مرسي الذي جاء مع الاخوان هو حكم رجعي عاد بمصر الى عصور الظلام والسحر والشعوذة وعلق ابواب الادب والمعرفة والعلوم والفنون . وحجب مصر رجالا ونساء فالرجال اسدلت الستائر على اعينهم وفكرهم الحر الخلاق والنساء اصبحن خارج المجتمع بل خارج الحياة بجهة انهن عورة . ثم جاء الرئيس السيسي ليحكم مصر فاصبح نسخة معدلة من نظام حسني مبارك القمعي المتخلف وفي تونس كانت الامور افضل قليلا فبعد فوز الاسلاميين بالحكم تخلوا عنه بعد وقت قصير وقبل

في كتابه دراسة للتاريخ يسفر الفيلسوف والمؤرخ البريطاني ارنولد توينبي نشوء الحضارات الى نظرية التحدي والاستجابة . فيقول ان المجتمعات عندما تتعرض الى تحديات تكون استجابتها اما النكوص الى الماضي والسلف وهي الاستجابة السلبية . او تكون استجابتها ديناميكية

مع ذلك فقد استخدم الجميع الوسائل العصرية من اعلام وتواصل اجتماعي وغيرها في مواجهة الخصوم . ودخل الاعلام ليمارس دعائياته الديماغوغية في سجلات عقيمة لتشخيص الأزمات وابداع الحلول لها . وفي كل تلك الصراعات كمال كل طرف اتهاماته للطرف الآخر وغاب الحوار فدخلوا في الصراعات المسلحة والدامية